الفصل الثالث

الطلبة

الرحلة:

أُطلق على الطلبة أسماء شتى منها القارئون والسامعون والمريدون والفقهاء والتلاميذ. وكان للطالب عند العرب ميزات كثيرة ربما كان أهمها الرحلة، إذ كان الطالب العربى يتجشم مشاق السفر وترك الأهل والوطن للاستماع لعالم انتشر صيته فى الآفاق. وكانت مراكز العلم كثيرة متوزعة فى كل أقطار العالم العربى، وكان هذا التوزيع مما يساعد الطلبة على طلب العلم. فكانت مرو وبخارى وسمرقند مناهل العلم فى الشرق. وبغداد ودمشق والموصل وحلب وبيت المقدس والقاهرة والإسكندرية فى الشرق الأدنى. والقيروان وتلمسان ومراكش وقرطبة وأشبيلية فى المغرب والأندلس.

ومما ساعد الطلبة على الطلب أيضا، وجود مملكة عربية متسعة الأطراف، ممتدة من سمرقند إلى قرطبة. وأن اللغة الرسمية فى هذه المملكة كانت اللغة العربية؛ ولذلك لم يعق التلميذ لغات أجنبية، وكتب أجنبية، وعادات وتقاليد أجنبية، والذين رحلوا فى طلب العلم كثيرون لا حاجة إلى تعدادهم، غير أنه لا بأس من ذكر بعضهم لإظهار شىء من حالة العلم والتعليم والطلب فى تلك الأيام.

يحكى عن أبى العلاء المعرى أنه «رجع إلى المعرة ولزم منزله وشرع فى التصنيف. وأخذ عنه الناس، وسار إليه الطلبة من الآفاق»[1]. وكان ممن جاء إلى المعرة للطلب أبو زكريا يحيى المعروف بالخطيب التبريزى شارح ديوان الحماسة.

---

(١) ابن خلكان ١: ٤١ .

وهاك ما يذكره ابن خلكان في ترجمته: «كان سبب توجهه إلى أبى العلاء المعرى أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة تأليف أبى منصور الأزهرى فى عدة مجلدات لطاف، وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعرى. فجعل الكتاب فى مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة، ولم يكن له ما يستأجر به مركوبا. فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل وهى ببعض الوقوف ببغداد. وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور»[1].

أما المسافة من تبريز إلى المعرة فتقرب من الثمانمائة كيلو متر، فلو قطع أبو زكريا عشرين كيلو مترا فى اليوم، لاستغرق مسيرة نحو الأربعين يوما. فلا يمكننا إلا أن نعجب بتعطش ذلك الرجل العالم، وتجشمه المشاق فى سبيله، وحمله الكتب فى مخلاة- كل ذلك «لتحقيق ما فيها». وغير خاف أن العلم الحقيقى لا يقوم إلا على أيدى رجال مثل أبى زكريا.

وإليك مثلا لأبى القاسم، سليمان بن أحمد اللخمى الطبرانى الذى «رحل فى طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة العراقية، وأقام فى الرحلة ثلاثا وثلاثين سنة، وسمع الكثير. وعدد شيوخه ألف شيخ»[2]. أما تاج الإسلام أبو سعد الذى يقال له أبو سعيد عبد الكريم «فرحل فى طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها، وشمالها، وجنوبها، وسافر إلى ما وراء النهر وسائر بلاد خراسان عدة دفعات، وإلى قومس والرى وأصبهان وهمذان وبلاد الجبال والحجاز والعراق والموصل والجزيرة والشام وغيرها من البلاد التى يطول ذكرها ويتعذر حصرها. ولقى العلماء وأخذ عنهم وجالسهم وروى عنهم واقتدى بأفعالهم الجميلة وآثارهم الحميدة. وكان عدد شيوخه يزيد على أربعة آلاف شيخ»[3].

---

(١) ابن خلكان ٢: ٣٠٨.

(٢) ابن خلكان ١: ٢٦٩.

(٣) ابن خلكان ١: ٣٧٨.

وإذا راجعنا ما كتبه المقرى وجدنا أن عددا وافرا من رجال الأندلس رحلوا إلى المشرق لإكمال علومهم. وكان أحدهم أبو عبد الله محمد بن مفرج القرطبى الذى بعد أن «سمع بقرطبة رحل سنة ٣٧٧ هـ فسمع بمكة من الأعرابى ولزمه حتى مات... وسمع بجدة وبالمدينة ودخل صنعاء وزبيد وعدن وسمع بها من جماعة، وسمع بمصر من البرقى صاحب أحمد البزاز، وسمع من السيرافى وجماعة كثيرة، وسمع بغزة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والقلزم والفرما والإسكندرية. فبلغ عدد شيوخه المائتين وثلاثين شيخا»[1]. ولا يمكننا إلا أن نستغرب صرف هذا الوقت الطويل، وزيارة كل هذه الأقطار وكثرة عدد الشيوخ. هذا، وإن كان ذلك فى مقدور الطلاب فى العصور الوسطى، فإنه قد خرج عن مستطاع طلاب اليوم؛ لأن الحالة الاقتصادية وضيق الوقت قلما يساعدان الطالب على الرحلات التى تستغرق السنين الطوال. وعلى كل حال، فلا بد أن الحج وزيارة الأماكن المقدسة والتاريخية كان لهما أثر فى إغراء الطلبة بالرحلة، فإنهم فى ذلك كانوا قد أصابوا عصفورين بحجر واحد إذ قاموا بفرائض الحج، وفى الوقت نفسه جلسوا عند قدمى كل من اشتهر فى العلم والفضل والأدب. ولا شك أيضا فى أن الرحلة والحج ساعدا كل المساعدة على تقوية الروابط الدينية والقومية والاجتماعية والعلمية فى كل أنحاء البلاد العربية. إذًا كانت الرحلة العلمية ميزة تذكر فى الحياة العلمية عند العرب. قال ابن خلدون «فالرحلة لا بد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[2].

عدد الطلاب:

إنه لمن المستحيل إحصاء من وجد من الطلبة فى أى عصر من العصور، غير أنه يمكننا البحث فى هذا الموضوع لعلنا نقف بعض الوقوف على كثرة أو قلة الطلاب عند العرب. وربما وجدنا ضالتنا المنشودة فى معجم البلدان لياقوت حيث

(١) نفح الطيب ١ : ٤٣٥

(٢) المقدمة ص٤٢٥.

يقول: إنه ينسب إلى إحدى قرى مرو «قوم من أهل العلم»[1]. وينسب إلى جوين «خلق كثير من الأئمة والعلماء»، وينسب إلى جيرفت «جماعة من العلماء». وينسب إلى جيرنج «جماعة وافرة من العلماء»، ويذكر عن جيلان فى طبرستان «وقد نسب إليها من لا يحصى من أهل العلم فى كل فن وعلى الخصوص فى الفقه». وإذا استشهدنا بغير ياقوت حصلنا على النتيجة نفسها من جهة كثرة الطلب. قال ابن حوقل عن هراة: «إن بهذه المساجد خلقا من الفقهاء»[2]. وقال أيضا: «قد أخرجت نيسابور من العلماء كثرة، ونشأ بها على مر الأيام من الفهماء من شهر أمره وسما قدره وعلا ذكره»[3].

تلك كانت الحالة فى خراسان، وإذا سرنا إلى العراق وجدناه غاصا بالطلبة يؤمونه من المشرق ومن المغرب. فقد كانت بغداد ملأى بالفقهاء والعلماء والطلاب والأطباء والشعراء والأدباء. وسبق أن استشهدنا بكلام اليعقوبى إذ قال أنه وجد فى بغداد «أكثر من مائة حانوت للوراقين وثلاثين ألف مسجد»[4]. فكثرة حوانيت الوراقين وكثرة المساجد دليل على كثرة الطلب، والتهافت على العلم، ورواج بضاعة الأدب. ويؤيد هذا الرأى ما رواه ابن جبير عن كثرة المدارس فى بغداد عند زيارته لها. وإن كثرت المدارس كثر عدد الطلاب. وقد قال المقدسى: «ومدينة حلوان بغداد كثيرة الفقهاء والقراء والأدباء والأئمة»[5]. وقال ياقوت عن المبارك بن سعيد: «رأيت مكتبه وكان مكتبا حفيلا مزدحما»[6].

وذكر الأب إنستاس الكرملى أن شروط المدرسة المستنصرية كانت: «أن يكون عدة الفقهاء ٢٤٨ من كل طائفة، وأن يكون فى الدار المتصلة بالمدرسة ثلاثون صبيا أيتاما»[7].

---

(١) معجم البلدان ٣: ١٥٣.

(٢) كتاب المسالك والممالك ص٣١٧ [طبع ليدن].

(٣) كتاب المسالك والممالك ص٣١٤.

(٤) كتاب البلدان ص٢٤٥ و٢٥٠ ونرى أن عدد المساجد مبالغ فيه.

(٥) احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص١٢٦ [طبع ليدن].

(٦) معجم الأدباء ٦: ٢٢٨.

(٧) المشرق ٥: ١٦٤.

ثم إذا أتينا إلى دمشق ألفيناها عاصمة كتاتيب ودور قرآن ودور حديث ومدارس فقه ومدارس طب، وكفانا دليلا كتاب «تنبيه الطالب وإرشاد الدارس» لأبى المفاخر عبد القادر النعيمى الذى اختصره عبد الباسط العلماوى. أما ما يذكره هذا الكتاب فهو أنه وجد فى دمشق المعاهد الآتية:

٧	دور للقرآن
١٩	دارا للحديث
٥٩	مدرسة شافعية
٤٥	مدرسة حنفية
١١	مدرسة حنبلية
٣	مدارس للطب

أضف إلى هذه المعاهد الجامع الأموى الذى يقول عنه ابن جبير أنه أجرى فيه كل يوم لأكثر من خمسمائة إنسان. وأما رواية ياقوت فهى أنه «دخل بعض الأكابر جامع دمشق أو صور ورأى حلقة عظيمة للخطيب، والمجلس غاص فصعد إلى جانبه وكان استكثر الجمع. فقال له الخطيب: القعود فى جامع المنصور مع نفر يسير أحب إلى من هذا»[١]. وازدحام الطلبة كان أيضا فى المدينة، إذ يروى ياقوت عن أبى سلمة: «قال لى ورش: خرجت من مصر إلى المدينة لأقرأ على نافع فإذا هو لا يطاق القراءة عليه من كثرة أبناء المهاجرين والأنصار.. فجلست خلف الحلقة»[٢].

ويظهر هذا الازحام فى حلقات التدريس فى الأندلس، إذ يذكر المقرى أنه حدث عن بعضهم أنه كان فى الصف الثانى من الحلقة[٣]. وكان الإقبال على الطلب زائدا فى مصر كما كان فى بقية البلدان العربية، والشاهد على ذلك كثرة

(١) معجم الأدباء ١: ٢٥٤.
(٢) معجم الأدباء ٥: ٣٤.
(٣) نفح الطيب ١: ٣٤١.

المدارس والجوامع والمعاهد العلمية التى يصفها المقريزى. ومما يقوله بهذا الصدد أنه كان «بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه»[١]. وقد نقل المستشرق متز (Metz) عن أحد مؤرخى العرب أنه وجد ١٢٠ حلقة تدريس فى أحد الجوامع فى القاهرة[٢].

ازدحمت المدارس كما ازدحمت الجوامع بالطلاب، وهاك بعض الأخبار عن المدرسة الصاحبية البهائية بمصر: «كانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول بها، ويتشاحنون فى بيوتها، حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة»[٣].

فالأدلة كثيرة على أن عدد الطلبة كان كثيرا حتى غصت الجوامع والمدارس بالطلاب الذين اضطروا أن يجلسوا فى حلقات ضمن حلقات لسماع العلم. وقد حكى عن الزيات أنه «إذا جلس إلى الدرس يجتمع له نحو من ٤٠٠ أو ٦٠٠ من الفقهاء يحضرون عليه»[٤]. ويروى عن أبى حامد الإسفراييني أنه كان يحضر مجلسه سبعمائة فقيه»[٥]. وقيل أنه حضر حلقة إمام الحرمين ٤٠٠ طالب[٦]. وقال المقدسى عن مصر: «وبين العشاءين جامعهم مغتص بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الأدب والحكمة وعددت فيه ١١٠ مجالس»[٧]. ويقول ابن حوقل[٨] أنه وجد ٣٠٠ معلم فى مدينة بلرم وحدها، فإذا كان عدد المعلمين ٣٠٠ فكم يكون عدد الطلبة؟

وصفوة القول أن عدد الطلبة والمستمعين كان كثيرا عند العرب. ولم ينحصر الإقبال على العلم فى المدن دون القرى. ولا فى إقليم دون الآخر. فقد نبغ

---

(١) الخطط المقريزية ٤: ٢١.

(2) Die Renaissance Des Islams p. 170.

(٣) الخطط المقريزية ٤: ٢٠٥.

(٤) مدخل الشرع الشريف ٢: ٥.

(٥) طبقات الشافعية ٣: ٢٥.

(٦) ابن خلكان ١: ٣٦١.

(٧) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص٢٠٥.

(٨) كتاب المسالك والممالك ص ٨٧.

كثيرون من العلماء من قرى تكاد لا تعرف. وتدفقت الطلبة من كل ناحية وانتظمت فى حلقات المشاهير مثل أبى إسحق الشيرازى وإمام الحرمين والإسفراينى والسلفى والغزالى وغيرهم.

الديمقراطية فى الطلب:

لقد قيل: «ليكن الفقير والغنى عندك سواء فى تعلم العلم». وفى الحق أنه تساوى الفقير والغنى فى طلب العلم. والأمثلة على هذا كثيرة فقد تعلم عدد كبير من أولاد الفقراء والعامة. وكان الشاعر بشار بن برد من هذه الطبقة، إذ كان أبوه طيانا يضرب اللبن[1]. وكان أبو العتاهية يبيع الفخار بالكوفة[2]. وروى ياقوت «وحدثنى من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك»[3]. وكان أبو إسحق الزجاج النحوى يخرط الزجاج[4] ولهذا سمى بالزجاج. وقيل عن أبى تمام «أنه كان يسقى الناس ماء بالجرة فى جامع مصر. وقيل كان يخدم حائكا ويعمل عنده بدمشق وكان أبوه خمارا بها»[5]. ولا حاجة إلى الإفاضة فيما هو معروف عن الغزالى فقد كان أبوه «فقيرا صالحا لا يأكل إلا من كسب يديه فى عمل غزل الصوف»[6]. وربما توضح الرواية الآتية دأب الطلبة الفقراء على الطلب:

ولما ناظر ابن حزم قال له الباجى:

أنا أعظم منك همة فى طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان إليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل باثت السوق.

فقال ابن حزم:

هذا الكلام عليك. لأنك إنما طلبت العلم وكنت فى تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالى، وأنا طلبته فى حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرج به إلا علو القدر العلمى فى الدنيا والآخرة»[7].

(١) الأغانى ٣: ٢١.
(٢) الأغانى ٣: ١٢٥.
(٣) معجم الأدباء ٦: ٥٦.
(٤) ابن خلكان ١: ١٣.
(٥) ابن خلكان ١: ١٥٣.
(٦) طبقات الشافعية ٤: ١٠٢.
(٧) نفح الطيب ١: ٣٥٨.

فالطلب كان ميسورا للجميع، ولا شك فى أن صبغة الطلب الدينية كانت مما جعل كل طبقات الناس تعطف على الطلاب وتساعدهم ماديا وأدبيا. دع عنك الديمقراطية العربية إذا لم يوجد عندهم طبقات اجتماعية لا تخالط بعضها بعضا كما فى الهند، أو قلما تتخالط اجتماعيا كما هى الحالة فى أوربا. فأولاد النبلاء فى أوربا يذهبون اليوم إلى المدارس العالية والخاصة، بينما الفقراء محرومون منها. أما عند العرب فالأدلة على عكس ذلك، إذ فتحت أبواب العلم على مصراعيها للأمير وللصعلوك على حد سواء، على أن الملوك والأمراء كانوا يتخذون لأبنائهم أساتذة مخصوصين.

المنح أو الإعانات المالية للطلبة:

لقد سبق لنا القول أن نظام الملك كان أول من أجرى الأرزاق على الفقهاء وقام بنفقات الطلاب. واقتفى أثره فى حبس الأوقاف على المدارس رهط من الملوك والأمراء والوجهاء حتى أنه تمكن أفقر الناس، كما ذكرنا، من تحصيل العلم على نفقة أهل البر والإحسان. وللإيضاح نجيء بملاحظات ابن جبير بشأن هذه العناية بالطلبة. قال:

«ومن مناقب هذا البلد (الإسكندرية) ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه، المدارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد، يفدون من الأقطار النائية، فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه، ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعليمه، وأجراء يقومون بجميع أحواله، واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك. ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر بمصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء»[1].

وإليك ما يقوله أيضا عن التسهيلات للطلب فى بغداد:

---

(١) ابن جبير ص ١٠.

«ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم»[1]. وإذا تتبعنا خطوات ذلك الرحالة إلى دمشق وجدنا ذاك السخاء نفسه على الطلبة. ولم يعط الطلبة في دمشق التعليم والأكل فقط، بل أعطيت لهم الكسوة أيضا، قال: «فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتضرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينة كثيرة. فأولها فراغ البال من أمر المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها». ويؤيد ابن بطوطة مقال ابن جبير ويزيد عن دمشق أنه «ومن أراد الطلب أو التفرغ للعبادة وجد الإعانة التامة». وروى عن مدرسة واسط أنه «يعطى لكل متعلم بها كسوة في السنة، ويجرى له نفقته في كل يوم»[2]. ويحكى ابن خلكان «أن أبا الحسن على ابن محمد- وزير المقتدر بالله - كان يجرى الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين»[3]. ولم تكن مصر لتقل عن العراق والشام في ذلك، إذ يروى المقريزى عن طلاب المدرسة الحجازية أنه أُعطى «لكل منهم من الخبز النقى خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس، ويقام لكل منهم بكسوتى الشتاء والصيف»[4]. ومدرسة أخرى «أجرى لكل واحد من طلبتها ثلاثة أرطال من الخبز في كل يوم وثلاثين درهما فلوسا في كل شهر»[5].

وعلى الجملة فقد أشبهت المدارس العربية في غابر مجدها المدارس الأفرنجية وبالأخص الأمريكية اليوم، من حيث كثرة أوقافها وعدة المنح (Scholarships) التى أعطيت للطالب النجيب الفقير. لم يكن الفقر عقبة في سبيل الشاب الذكى. لأن المدارس كانت تقوم بنفقاته من طعام ومنام ولباس وتعليم وعناية طبية. وربما كان الأزهر اليوم خير مثال على جود العرب وسخائهم على العلم. وإننا لنرجو في الختام أن يقتفى عرب اليوم أثر عرب الأمس في تمهيد كل عقبة وإزالة كل عائق

(١) ابن جبير ص ٢٠٨.
(٢) ابن بطوطة ١: ١١٤.
(٣) ابن خلكان ١: ٤٧٠.
(٤) الخطط المقريزية ٤: ٢٢٣.
(٥) الخطط المقريزية ٤: ٢٥٣.

يعترض الطلاب فى طريق العلم. وليت القوم يدرون ما لهذا السخاء من التأثير والخطورة فى إعادة حياة العرب العلمية وإرجاع مجدهم.

النصارى والطلب:

من المعروف أن العرب فى صدر الإسلام وما بعده استخدموا عددا ليس بقليل من الموالى وأهل الذمة لتعليم أولادهم. ومما يذكر عن الحجاج أنه أراد مؤدبا لولده فقيل له ههنا رجل نصرانى عالم وههنا مسلم ليس علمه كعلم النصرانى. ففضل الحجاج المعلم المسلم[1]. وهذا يدل، ولو دلالة سلبية، على أن المسلمين العرب اعتادوا أخذ المؤدبين من النصارى، لأنهم لو لم يعتادوا ذلك لما عرض المعلم النصرانى على الحجاج أو طلب منه المفاضلة بينه وبين المعلم المسلم. ثم لما اشتد ساعد العلم عند المسلمين وكثرت مدارسهم، اشترك طلبة النصارى مع طلبة المسلمين فى طلب العلم، وإليك الدليل:

ذكر النعيمى فى كتابه «تنبيه الطالب وإرشاد الدارس» الذى ترجمه إلى الفرنسية مستشرق فرنسى[2] أن المدرسة التقوية كانت داخل باب الفراديس وأنها من أهم مدارس دمشق وقد بنيت سنة ٥٧٤هـ (١١٧٨م) على يد الملك المظفر تقى الدين عمر، وأنه درس بهذه المدرسة جماعة من الأروام والفرس. وفى وصف المدرسة الرواحية نجد ما يأتى «كانت داخل باب الفراديس وبناها زكى الدين أبو القاسم التاجر الملقب بابن رواحة المتوفى سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) واشترط الواقف شروطا مستحيلة على المدرسين، ومنع الدخول إلى هذه المدرسة على اليهود والنصارى والحنابلة، ويقول الأب إنستاس الكرملى[3]: «وأما النصارى فكانوا مخيرين فى إرسال أولادهم إلى مدارس العرب أو إرسالهم إلى مكاتبهم. وأول من حظر عليهم تعليمهم فى مدارس المسلمين. الخليفة المتوكل. قال فى أخبار

---

(١) الأغانى ١٨: ٧٨.

(2) H. Sauvaire: Description de Damas - Journal Asiatique serie 9 - tome III p. 251.

(٣) راجع المشرق ١٠: ٤٤٠.

فطاركة المشرق من كتاب المجدل لمارس بن سليمان ص٧٩ «وأمر المتوكل بأن لا تعلم أولادهم (أى أولاد النصارى) فى مكاتب العرب، ويثبت هذا القول نص المقريزى: «ونهى المتوكل أن يستعان بهم (النصارى) فى أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم»[1] ولم يتعلم طلاب النصارى العلوم العربية وحدها فى مدارس المسلمين. بل قرأ بعضهم التوراة والإنجيل على بعض علماء المسلمين، ويدلك على ذلك قول ابن خلكان عن أبى الفتح موسى الملقب بكمال الدين الشافعى «وكان أهل الذمة يقرأون عليه التوراة والإنجيل، ويشرح لهما هذين الكتابين شرحا يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله»[2].

يظهر مما سبق أن النصارى طلبوا العلم فى مدارس المسلمين، ولو لم يفعلوا ذلك لما منعهم المتوكل. وأن النصارى علّموا أولاد المسلمين، وأن المسلمين علموا أولاد النصارى حتى التوراة والإنجيل. وهذا يدل على العلاقات الودية التى كثيرا ما وجدت بين الفريقين وبقيت إلى أن عكر كأس صفائها المغالون مثل الحاكم بأمر الله والمتوكل وغيرهم. ويظهر أن العرب يحنون إلى تلك الأيام والعلاقات، فإننا نرى اليوم أولاد المسلمين والنصارى من العرب يتعلمون جنبا إلى جنب فى المدارس الأميرية والمدارس الخصوصية. وكفى بقول الشاعر دليلا على ما نحن فى صدده:

وإنى، وإن كانوا نصارى، أحبهم ويرتاح قلبى نحوهم ويتوق[3]

(١) الخطط المقريزية ٤: ٣٩٧.

(٢) ابن خلكان ٢: ١٧٤.

(٣) الكامل للمبرد ص ٣٢.